الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche scientifique

المركز الجامعي

عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

Centre Universitaire

Abdelhafid Boussouf Mila

معهد الآداب واللُّغات

Institut des lettres et des langues

www.centre-univ-mila.dz

الدكتور: سمير معزوزن

المقياس: تعليمية اللغات

السنة: الأولى ماستر – لسانيات تطبيقية

العام الجامعي: 2021 - 2022

المحاضرة الأولى

المحاضرة الأولى للسداسي الثاني بعنوان: أهمية اللغة الانتقالية في تعلم اللغات

تحاول هذه الوريقات البحثية إبراز أهمية اللّغة الانتقالية في تعلم اللّغات، خاصة إذا علمنا أن الأخطاء التي يرتكبها متعلم اللّغة في محاولة تعلمه للغة الثانية تشكل ما يعرف باللّغة الانتقالية **(Inter langue)** التّي يعيشها كل متعلم للغتين غير مكتف بلغته الأولى التّي تعوَّد على استعمالها. حيث إنَّ تعلم أية لغة كانت، مثل أي نوع من أنواع التّعلم الإنساني يتضمن اللّغة الانتقالية. واعتبر الباحثون في حقل اللّسانيات التّطبيقيّة**(Linguistique appliquée)**أن تلك الأخطاء دليل لعملية خلاقة في تعلم اللّغة الثانية، حيث يستعمل المتعلمون استراتيجية تجريب الفرضيات **(Hypothèses test)** وغيرها من الاستراتيجيات في تعلم اللّغة الثانية.

1 – مفهوم اللّغة الانتقالية:

لعل من نافلة القول قبل التفصيل في الحديث عن مفهوم اللّغة الانتقالية **(Inter langue)** التأكيد على الاختلاف الموجود بين أهل الاختصاص في ترجمة مصطلح اللّغة الانتقالية، وهذا ما يعكس صعوبة ترجمة هذا المصطلح الأجنبي، شأنه في ذلك شأن المصطلحات العلمية الأخرى، فهناك من يطلق عليها اللغة المتوسطة[1] وهناك من يترجمها باللغة المرحلية[2] كما ترجمت أيضا باللغة الوسيطة أو البينية[3]. وسنوظف في دراستنا هذه مصطلح اللغة الانتقالية [*] لأنه – في نظرنا – أكثر دقة في التعبير عن مفهومها، كما سنبين ذلك من خلال تعريفنا لها.

لاشك أن الناظر في مفهوم اللّغة الانتقالية يجد أن التعاريف تختلف باختلاف زاوية دراسة اللّغة الانتقالية، حيث عرفها كوردر بأنّها : « لهجة الدارس الانتقالية [4]». ويرى أنه لا يمكننا أن نتطلع إلى فهم صيرورات اكتساب اللغة الثانية إلا إذا انطلقنا من اعتبار لغة من يحمل نفسه على تعلمها ظاهرة تدرّس لذاتها تماما مثلما لا تفهم عملية اكتساب اللغة الأولى، والكيفية التي يتعامل بها الأطفال مع هذه الأخيرة إلا بالنظر إلى لغة الطفل باعتبارها ظاهرة جديرة بأن تدرس في حدِّ ذاتها .

ويقرّ كوردر أنه لا يجب أن نقر باللّهجة الانتقالية أو النسق التقريبي مع التأكيد على استقلاليتهما دون الاعتقاد في كون تحديدهما، إنما يتم بالإحالة على نسق اللّغة المستهدف تعلمها أو اللّغة الهدف وهذا ما يشذّ عنه مفهوم اللغة الانتقالية الذي يبدو أنه يقدم حلاً متميزًا. ذلك لأنَّه إلى جانب إلحاحه على استقلالية النُّظام اللّغوي لمتعلم اللّغة الثَّانية، فإنَّه يؤكد كذلك على أنه لا يتطور بالضرورة في اتجاه اللّغة المستهدفة.

ويعرّفها الباحث **نصرالدين بوحساين** بقوله: « بناء ذهني يتنامى داخل خلد المتعلم نتيجة لجملة المعطيات المرتبطة باللغة الهدف ومجموع المعطيات المتصلة باللغة الأولى، ثم الفروق الفردية والعناصر المكونة للحالة التعليمية[5]». ولهذا فاللغة الانتقالية نظام منفصل يبتكره الدارس من حيث وقوعه في مرحلة وسط بين اللغة الأم واللغة الهدف. ويرى **باري ماكلافن** أن اللغة الانتقالية مصطلح يقصد به أمران :

1– المنظومة اللغوية لمتعلم اللغة الثانية عند نقطة زمنية واحدة .

2– النطاق أو المدى للمنظومات اللغوية المتشابكة الذي يميز النمو اللغوي لمتعلمي اللغة الثانية طوال الوقت [6].

ويعرفها **سيلنكر** بأنها : « منظومة لغوية مستقلة تنتج من محاولة المتعلم إنتاج اللغة الثانية بالصورة المتعارف عليها لدى متحدثيها[7]». ويمكن القول – مبدئيا – إنَّ مفهوم اللغة الانتقالية يقدّم للدّراسات المهتمة باكتساب اللغة الثانية فرصة لتحديد موضوع انشغالها بشكل أكثّر دقة. وإنّ الذي يعرفه المتعلم لغة قائمة بذاتها، وليست هي اللغة الثانية التي يسعى إلى تعلمها .

لقد أصبح مفهوم اللغة الانتقالية حجر الأساس في الأبحاث الحديثة حول اكتساب اللغة الثانية غير أنه لم يخلُ في حدّ ذاته من غموض؛ هل يقوم مقام نظام وسيط مرتبط بكل من اللغة الأولى واللغة الثانية– كما يوحي بذلك التعبير– ؟أم أنه قائمة بذاتها ؟ ورغم أن مبتكري هذا المفهوم ما فتئوا يصرون على أن اللغة الانتقالية ليست نسخا من اللغة المستهدفة، إلا أن الكثير من نقاشاتهم تلك تنم ضمنيا عن القبول بفكرة تموقعها على خط متصل لا يسير إلا في اتجاه كفاية المتحدثين الأصليين بهذه الأخيرة وهذا يرجح فكرة كون نظام اللغات الانتقالية يسعى إلى الاقتراب أكثر فأكثر من اللغة المستهدفة، ويحد من أهمية الحديث عن استقلاليته، ولو أن كل المتعلمين تقريبا يتوقفون متحجرين عند هذه النقطة أو تلك على هذا المسار.

ومن التعريفات السابقة للغة الانتقالية نستخلص أنّها لغة مستقلة تمثل نظاما بين اللغة الأولى واللغة الهدف، وتنتج من محاولة المتعلم الوصول إلى اللغة الهدف. وكما أنه ظهر جدل حول استخدام مصطلح " اللغة المرحلية "مما تسبب في اكتساب هذا المصطلح معاني مختلفة، حيث لا يخلو من خطأ في التسمية نظرًا لأن اللغة توحي بالاستخدام الثابت والمنتظم في بيئة لغوية، بينما اللغة المرحلية غير ثابتة البتة **(عدا المرحلة النهائية)**، كما أنّ اللغات المرحلية تستخدم خارج البيئات اللغوية.

ولهذا نرى – كما سبق الذكر– أن المصطلح الأنسب هو اللغة الانتقالية، ولكن يمكن أن نطلق مصطلح اللغة المرحلية على النظام المستقر النهائي القريب جدا من اللغة الثانية. ويبدو لنا أنَّ النظرة الدقيقة إلى اللغة المرحلية باعتبارها نظاما مستقرًا نهائيًا قريبًا جدًا من اللغة الثانية جعلت **باري ماكلافن** يتأسف على استخدام بعض المؤلفين لمصطلح اللغة الثانية كمرادف لمصطلح اللغة المرحلية [8].

وعلى كلّ تبقى اللغة الانتقالية لغة مستقلة عن اللغة الأولى وعن اللغة الثانية، وقد تقترب من إحداهما وتبتعد عن الأخرى، لكن لا يمكن أن تُوصف بأنها مرادفة للغة الثانية . ونرى أنها تمثل ثلاث دوائر أفقية متداخلة في بعض أجزائها كما في الشكل الموالي:

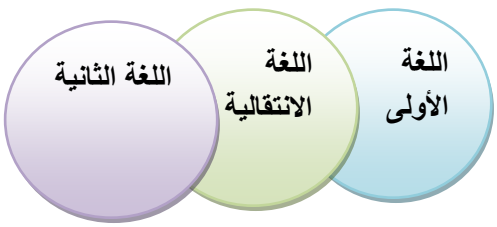

2- خصائص اللّغة الانتقالية:

إن اللّغة الانتقالية تحمل من الخصائص والمميزات ما تنأى به عن اللغات الطبيعية من حيث الجوهر والطبيعة، فلا تعدو أن تكون بناءً (منوالاً) متميزًا يتراوح استمراره طولاً أو قصرًا[9]. وعند النظر إلى اللّغة الانتقالية نجد أنَّها تحمل العديد من الخصائص منها:

1- اعتبار اللغة الانتقالية نظاما، بمعنى أنها تخضع لقوانين وأحكام في كافة مستوياتها، وهي إذن ليست عشوائية[*]، كما أن النظام منفصل مستقل بذاته عن اللغة الأولى واللغة الثانية.

2- صعوبة- إلى حدّ بعيد - في وضع معايير وقواعد عامة توصف من خلالها اللغة الانتقالية مقارنة بما يمكن وضعه، بعد التحري والتعليل والتعميم، ومن القواعد تمثل آليات اللّغات الطبيعية، ولكن القول بالصعوبة لا يعني البتة التقريبية في الدراسة والاستنباط، إذا ما يتعلق الأمر باللّغة الانتقالية، فدراستها تخضع للضوابط العلمية الصارمة، وتبقى الدقة في تحديد ملامحها نسبية، نظرًا للتغيرات التي تطرأ عليها وعدم ثباتها [10].

3- تكوُّنها من مراحل منتظمة[11]، فجميع متعلمي اللغة يمرون بهذه المراحل الواحدة تلوى الأخرى ولكنهم - بطبيعة الحال- يختلفون في مدة البقاء في كل مرحلة، وذلك نظرًا لاختلاف الفروق الفردية بين المتعلمين في استخدام الاستراتيجيات التعليمية، أو اختلافهم في الاستعداد اللّغوي .

4- وجود لغة انتقالية مرهون بوجود لغتين طبيعيتين؛ اللّغة الأولى **(ل1)** واللّغة الثَّانية (الهدف)**(ل2)** [12].

5- مرحلة الوصول إلى التَّمكن الكامل من اللّغة الهدف تسبق تلك المرحلة اللّغة الانتقالية [13] فمتعلم اللّغة الأولى عندما يتعلم لغة أخرى يتعلم هذه اللّغة، وهو لديه نظام لغوي سابق، وهو بذلك من بداية تعلمه للغة الهدف إلى ما قبل تمكنه منها يخوض غمار اللّغة الانتقالية.

6 – فردية اللّغة الانتقالية، وعدم اشتراك جميع أفراد مجتمع معين فيها على الأقل في جانبها الإجرائي الإنتاجي – خلافًا للغات الطبيعية التَّي تمثل أرصدة مستودعة في أذهان الأفراد المشكلين للمجتمعات [14].

7 – كوّن اللّغة الانتقالية في الغالب مرحلة انتقالية لمتعلم اللّغة، يمر بها عند تعلمه للغة، وذلك عندما لا يكون هناك تحجر **(fossilisation)**[*] لدى متعلم اللّغة، فهي طريق إلى ما بعدها.

8 – قابليتها للوصف [15] والتحليل، وذلك ناتج من نظاميتها، إلا أنَّ هنالك اختلافات بين العلماء في وصف اللغة الانتقالية وتحليلها، وذلك الاختلاف ناشئ من اختلاف نظرتهم لهذه اللغة، حيث ركز **سلينكر** على الجانب المعرفي، وقال أن اللغة المتوسطة نحو وقتي في هيئة منظومة واحدة تتكون من قواعد لغوية، ينميها المتعلم عن طريق استخدام استراتيجيات معرفية مثل: النقل المعرفي والتعميم اللغوي الزائد وغيرها [**] .

يرى **أرجيميان** أنَّ اللغة المتوسطة يجب أن تحلل لغويا بوصفها سلوكا تحكمه القواعد اللّغوية، ويرى أن التنظيم الداخلي للغة المتوسطة يجب أن يصوَّر لغويا في أمثل صوره شأنه في ذلك شأن أية لغة طبيعية، وتكميلا لهذه النظرة، يرى كذلك أن نحو اللّغة المتوسطة مثل أي منظومة للغة يخضع لقيود اللّغويات العامة، ويدل على الاتساق الداخلي.

بينما اتبعت **تارون** مذهبًا ثالثا في اللّغة المتوسطة، فهي ترى أنَّ اللغة المتوسطة يمكن تحليلها عن طريق مجموعة أساليب لغوية تعتمد على استعمال السياق، فهي ترى أن إنتاج اللغة المتوسطة يتغير بانتظام حسب السياق ومهمة الاستنطاق[16] .

9– عدم تزويد الدارس بوسائل التَّعبير عن كل الرسائل التي يرغب في نقلها واستقبالها[17]، أي أنها تقصر على الوفاء التام بكل متطلبات متعلم اللّغة الاتصالية **(Langue communicative)**، وذلك نظرًا لأنها تمثل نظامًا مؤقتًا بين نظامين تامين، فاللغة الأولى واللغة الثانية تتميزان باستخدام ثابت ومنتظم في بيئة لغوية، وهذا ما لا يتوافر في اللّغة الانتقالية .

3– خصوصية لغة المتعلم:

الواقع أنَّ التعلم نشاط ذهني باطني يتجلى من خلال السلوك الظاهر الذي يمثل عنوانه، والدليل الذي يثبته، ومهما قيل – فممّا لا مراء فيه– أنَّ العوامل المرتبطة بشخص المتعلم

تتحكم بوجه أو آخر في كيفية تعامله وتفاعله واللغة الهدف بما يؤثر بشكل مباشر في رصيد اللغة الانتقالية الناشئة في ذهنه وذاكرته، وما يساعده في تغيير نظامها وتطورها.[18]

ولاسيما أنّ للأخطاء اللغوية نظامًا خاصًا ينظمها، وتتولد عنه ملكة انتقالية تسمى بالملكة الانتقالية **(La compétence transitoire)** التّي تقوم على نظام لغوي انتقالي للمتعلم، ولا تعني الخصوصية اللّغوية لدى المتعلم أن تعبيراته خالية من الأخطاء، بل قد تمر بمرحلة تنامي الاكتساب واطراده بمرحلة تكون فيها تعبيرات المتعلمين خاطئة، وهي مرحلة حتمية.

ويكفي أن نذكر في هذا المقام أن هذه الأخطاء تتأثر بمجموعة من العوامل وهي: السن والاستعدادات والدوافع والرغبات، ثم الموقف الذي يتخذه المتعلم من اللّغة الهدف بما يحمله من مقومات ثقافية واجتماعية وعقائدية [19]. وذلك باعتبار أن عملية الاكتساب والتعلم لدى المتعلم هي عمرية فردية في الأساس ترتبط بتجاوب هؤلاء مع الطرائق والوسائل التعليمية المستعملة، حيث يتخذ كل متعلم وتيرة خاصة به في التعلم والاستجابة [20].

إنَّ التلاميذ ربما يعيدون على سبيل المحاكاة الآلية، وبكيفية صحيحة ما تعلموه، ولكنهم عندما يشرعون في التَّعبير الحر العفوي، فإنَّ الأخطاء ستظهر حتما، كما أن عدم استقرار النظام اللّغوي الانتقالي يظهر من خلال السّمات النوعية كالنّسب المرتفعة للأخطاء، ومظاهر الاضطراب التي تتجسد من خلال توترات عديدة مثل تبسيط البنى والتراكيب، واستعمال استراتيجيات التعويض، وتجنب بعض محتويات التَّعليم .

الهوامش:

(1) – ونجد هذا في ترجمة . عبد العزيز العبدان لكتاب نظريات تعلم اللغة الثانية لباري ماكلافن

(2) – كما في ترجمة عبده الراجحي و علي علي أحمد شعبان لكتاب أسس تعلم اللغة وتعليمها لدوجلاس براون ، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1994.

(3)– ورد هذا المصطلح في كتاب محمد أبو الرب ، الأخطاء اللغوية في ضوء علم اللغة التطبيقي .

(*)– اقترحت الباحثة خولة طالب الإبراهيمي، التي أشرفت على رسالة الماجستير للباحث الطاهر لوصيف لفظ : " الانتقالية " بديلا (للتداخل) الذي قابل به البحث المصطلح الأجنبي (Inter langue), وتجدر الإشارة إلى أن "هنري بيس " و(ر. بوركيي) يشيران إلى تعدد تسميات مضمون هذا المصطلح،والتي منها (dialecte)(compétence transitoire)(système approximatif) (idiosyncrasique)(système approximatif de)(inter langue)(système intermédiaire)(langue de l’apprenant)(système approché (communication)...وهي تشمل جميعها، رغم الفروق المنهجية والنظرية فيما بينها، الموضوع ذاته المتمثل في المعرفة و الاستعمال غير السليقيين للغة ما من قبل المتكلم، سواء أكان غير سليقي (لم يكتسب اللغة منذ نشأته كعادة جميع الأطفال مع لغاتهم الأولى، وإنما يتعلمها على كبر كلغة ثانية) أو كان غير سوي لغويا (Non– équilibre) أي تعني نظاما آخر غير ذلك الخاص باللغة الهدف موضوع التعلم (للمزيد من التوضيح : ينظر الطاهر لوصيف ، منهجية تعليم اللغة وتعلمها ،ص364). ويجدر بالذكر، أن اللغة الانتقالية ذكرت عرضا في كتاب: " اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها " من تأليف : نايف خرما وعلي حجاج

(4)– ينظر: مفهوم اللغة الانتقالية في تعليمية اللغات، نصر الدين بوحساين – دراسات في اللغة و الأدب – مجلة التبيين العدد 24 ،الجزائر ،2005 ، ص41– 42 .

(5)– المرجع نفسه، ص50

(6)– نظريات تعلم اللغة الثانية ، باري ماكلافن، ترجمة . عبد العزيز العبدان، الرياض، عالم الكتب ،1417 هـ ص95

(7)– المرجع نفسه ، ص96 .

(8)– المرجع نفسه، ص95

(9)– مفهوم اللغة الانتقالية في تعليمية اللغات، نصر الدين بوحساين ، ص41

(*)– وهذا ما يتجلى في تعريف سلينكر وماكلافن وبراون

(10)– مفهوم اللغة الانتقالية في تعليمية اللغات، نصر الدين بوحساين ، ص 41

(11)– أسس تعلم اللغة وتعليمها ، دوجلاس براون، ص201، كما نجد ذلك أيضا لدى ماكلافن ، نظريات تعلم اللغة الثانية، ص 122

(12)- يرمز للغة الأولى بالرمز (ل1) ، بينما اللغة الثانية أو اللغة الهدف (ل2)

(*)- من المواضيع الرئيسة في ضوء تحليل الأخطاء اللغوية؛ موضوع التحجر، الذي نعني به الاستعمال الدائم لبعض الأشكال اللغوية الخاطئة في لغة المتعلم ، إذ كثيرا ما نلاحظ بعض الملامح الخاطئة في لغة المتعلم على الرغم من تمكنه من اللغة، ويتضح ذلك صوتيا مثلا في اللكنة الأجنبية الموجودة في حديث أغلب من تعلم لغة ثانية بعد سن البلوغ . ويتضح ذلك في الأخطاء الأسلوبية والنحوية والمعجمية. وتجدر الإشارة إلى أن تعلم هذه الأشكال الخاطئة يتم وفق الطريقة نفسها التي نتعلم بها الأشكال الصحيحة ، لذلك ينظر إليها بوصفها تعلما. يرى براون أنه لا يجب النظر إلى التحجر بوصفه نوعا من المرض على الرغم من أن طبيعته تشبهه بوضع غير متغير، تم في وقت من الماضي، لذلك قد تكون أصدق الصور لوصفه بأنه يشبهه عملية تبريد عند درجة حرارة منخفضة معينة، فبذلك تكون لدينا صورة وضع قابل للتغيير إذا استعلمنا درجة الحرارة المناسبة بالطبع . (للمزيد من الاستزادة ينظر : الأخطاء اللغوية في ضوء علم اللغة التطبيقي، محمد أبو الرب ، ص 95).

(13) – اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها ، نايف خرما و.علي حجاج ، ص84

(**) – يشير سيلنكر إلى خمس عمليات أساسية عند حديثه عن اللغة الانتقالية هي : التحويل اللغوي والتعميم المبالغ فيه لقواعد اللغة الهدف وتحويل التدريب،واستراتيجيات تعلم اللغة الثانية، وأخيرا استراتيجيات التواصل . غير أن هذه ليست مظاهر المعرفة باللغة، أي الكفاءة في حد ذاتها، بل هي عمليات لاستخدامها أو استحداثها. بل إن بعضها يطبعه الغموض ولا يمكن الفصل ما إذا كانت عمليات متعلقة بالأداء اللغوي أو عمليات مرتبطة بعملية التعلم . لذلك يخلص الكاتب إلى القول أن مفهوم اللغة الانتقالية الذي يقول به لا يوفر الدراسات الخاصة باكتساب اللغة الثانية موضوعا متطابقا مع ذلك الذي يوفره مفهوم الكفاية للدراسات الخاصة باللغة الأولى وعليه فإن هذا المفهوم جعل تلك الدراسات تتعامل أساسا مع استراتيجيات وعمليات خاصة بالتعلم، واستعمال اللغة بدلا من وصف كفاءات اللغة الانتقالية وتحليلها . وهذه المصطلحات السالفة الذكر ترد عند محاولة الإنسان أن يستدعي الخبرات السابقة ، والبنى المعرفية التي يمتلكها للوصول إلى حل المشكلات التي تصادفه المصطلحات : النقل والتدخل وإفراط التعميم. (للمزيد من التوضيح ينظر : الأخطاء اللغوية في ضوء علم اللغة التطبيقي، محمد أبو الرب ، ص98)

(14)- مفهوم اللغة الانتقالية، نصر الدين بوحساين ، ص41

(15)- التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء ، محمود الصيني و إسحاق محمد الأمين ، ص139

(16)- نظريات تعلم اللغة الثانية، ماكلافن ، ص97 – 102 .

(17)- التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء ، محمود الصيني و إسحاق محمد الأمين ، ص139

(18)- مفهوم اللغة الانتقالية، نصر الدين بوحساين، ص48

(19)- المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

(20)- منهجية تعليم اللغة وتعلمها ، الطاهر لوصيف، ص366